2_ الحضارة اصطلاحا:

أ_ التعريف الاصطلاحي للحضارة عند ابن خلدون: عرّف ابن خلدون الحضارة بأنّها :**"أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه وتفاوت الأمم."** و يضيف ابن خلدون أن **" الحضارة إنما هي تفنن في الترف،وأحكام الصنائع المستعملة في وجوهه،ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش وسائر عوائد المنزل وأحواله"**.

لقد بيّن ابن خلدون أن الحضارة لا تظهر إلاّ في المدن والقرى،و أنّها غاية العمران تتصل بالتفنن في الترف،واستجادة أحواله،والكلف بالصنائع،وسائر الفنون،والحضارة عنده لا تظهر في البادية لاقتصار البدو على الضروري من العيش الذي يحفظ الحياة من غير المزيد .

ب_ التعريف الاصطلاحي للحضارة عند المفكرين المعاصرين: أما بالنسبة لعصورنا الحديثة والمعاصرة فقد أطلق كثير من الباحثين مصطلح الحضارة على كل ما يتصل بالتقدم،والرقي الإنساني في مختلف الميادين كاللغة والأدب والفنون الجميلة،والصناعة،والتجارة،وغير ذلك من مظاهر النشاط الإنساني، ويُيسر السبيل إلى حياة إنسانية كريمة،ومن هذه التعاريف الكثيرة والمتنوعة نذكر ما يلي:

أولا:تعريف **السير إدوارد بيرنت تايلور** Taylor: الذي قال فيه: " **الحضارة ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعارف،والعقيدة،والفن،و قيم الأخلاق والقانون،والتقاليد ،وكل القدرات،والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع**" .

ثانيا:تعريف **و.ل.ديورانت** الذي جاء فيه :" **الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي،وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة هي:الموارد الاقتصادية،والنظم السياسية،والتقاليد الخلقية،ومتابعة العلوم والفنون** " .

ثالثا: تعريف **رولان موسنييه** Roland Mousnier:قال عن الحضارة ما يلي:"**الحضارة مجموعة من الخطط والنظم الجديرة بإشاعة النظام والسلام والسعادة،وبتطوير البشرية الفكريوالأدبي**" .

رابعا: تعريف **أبرت أشفيتسر** Albert Schweitzer:" **الحضارة في جوهرها أخلاقية،وأن العناصر الجمالية،والتاريخية،والاتساع الرائع في معارفنا المادية وقوانا ،كل هذا لا يُكون جوهر الحضارة،وإنما يتوقف هذا الجوهر على الاستعدادات العقلية عند الأفراد والأمم القاطنة في العالم ،وما عدا هذا فليس إلا ظروفا مصاحبة للحضارة لا شأن لها بجوهرها**"،و يُضيف أشفيتسر قائلا :" **بأن الأعمال المبتكرة،والفنية،والعقلية،والمادية لا تكشف عن آثارها الكاملة الحقيقية إلا إذا استندت الحضارة في**

بقائها ونمائها إلى استعداد نفسي يكون أخلاقيا حقا"،و بعد أن يذكر **أشفيتسر** بأمر العلاقة بين الحضارة،وبين نظريتنا في الكون،يبين أن كل تقدم يتوقف على التقدم في نظريته في الكون،والعكس صحيح،فكل تأخر إنساني سببه انحلال في هذه النظرية،والافتقار إلى حضارة حقيقية مرجعه الافتقار إلى نظرية قوية ثمينة في الكون نجد فيها اعتقادا قويا ثمينا ،هنالك في وسعنا ايجاد حضارة جديدة،ويخلص إلى تعريف شامل ودقيق للحضارة فيقول:"**إن الحضارة بكل بساطة،معناها بذل المجهود بوصفنا كائنات إنسانية، وأحوال العالم الواقعي**" .

خامسا: تعريف **مالك بن نبي**: الحضارة عند مالك بن نبي هي تركيب ثلاثة عناصر أو ناتج حضاري يساوي:" **إنسان + تراب + وقت**"،وعن بدايتها يقول أن الحضارة تبدأ بظهور فكرة دينية،ثم يبدأ أفولها بتغلب جاذبية الأرض عليها بعد أن تفقد الروح ثم العقل،ويعبر عن ذلك في المعادلة التالية:" **الانحطاط = انحطاط النفس + انحطاط الروح + انحطاط العقل** "،فقد بعث الدين في المسلم روحا محركا للحضارة فلم يلبث بعد فترة قضاها في الخلافات والحروب – أي مرحلة تأسيس الدولة – أن عاد إلى حيث هو إنسانا بدائيا .

و نستنتج من تعاريف الحضارة ثلاثة اتجاهات هي:

الاتجاه الأول:يركز على الجانب المادي للإنسان والحياة

الاتجاه الثاني:يركز على الجانب الروحي أو المعنوي للإنسان.

الاتجاه الثالث:وهو الذي يجمع بين الجانبين المادي والمعنوي للإنسان والحياة.

وانطلاقا من هذه الاتجاهات،فإن **الحضارة الإسلامية هي كل إنتاج روحي ومادي يُنسب إلى الشعوب التي دخلت في الإسلام،ونشرت نمط الحياة الإسلامية،ونهضت بفطرة الإنسان روحيا وماديا،ودينا ودنيا،وعقلا وباطنا،وقلبا وضميرا، وكل هذا في توزان فذ و اتساق لا نظير له.**

3_ علاقة الحضارة بكل من المدنية والثقافة:

مفهوم المدنية: هي الأشكال المادية للأشياء المحسوسة التي يصنعها الإنسان كوسائل المواصلات وأدوات الطبخ،والأجهزة، والآلات والجسور ونحوها . والإنسان يصنع الآلات لتحقيق أغراضه ولرفاهيته وتسهيل الحياة عليه.

ولها جانبان:

الأول: عام لا يختص بأمة دون أمة، ولا يتأثر بفلسفة الحياة ولهذا تقتبسه الأمم من بعضها دون حرج أو تردد .

الثاني:خاص كالحضارة حيث تختلف الأمم فيه على حسب اختلاف فلسفتها عن الحياة.كاستخدام آنية الذهب والفضة،وكالتماثيل والنحت،فمثل هذه الأشكال المدنية إنّما تنتج من وجهة النظر التي تقوم عليها الحضارة.

_ **مفهوم الثقافة: لغة:** استعمل العرب كلمة الثقافة للدلالة على معان متعددة كالحذق وسرعة الفهم،والتهذيب،وتقويم المعوج وغيرها من المعاني.

و **الثقافة اصطلاحا:** اختلف المفكرون في مفهوم الثقافة وما تدل عليه،ومن التعاريف هو أنّها:"**المعرفة التي تُؤخذ عن طريق الإخبار والتلقي و الاستنباط**". كالتشريع واللغة والتاريخ والفلسفة وغيرها من المعارف الإنسانية أو العقلية.وهي تؤثر في سلوك الإنسان أفرادًا و جماعات كما تؤثر في نظام حياته واتجاهاته.

و تُعرّف الثقافة الإسلامية بأنّها " **المعارف التي كانت العقيدة الإسلامية سببا في بحثها كعلم التوحيد والفقه والتفسير والحديث وعلوم القرآن وعلوم الحديث وعلوم اللغة العربية وعلم الأصول**". فهذه كلها ثقافة إسلامية لأن العقيدة الإسلامية هي السبب في نشوئها و بحثها . وترجع الثقافة الإسلامية إلى الكتاب والسنة فعنهما اكتسبت جميع فروع الثقافة الإسلامية.

و أورد الباحث **عماد الدين خليل** في كتابه "**مدخل إلى الحضارة الإسلامية** " أن **العلاقة** التي تربط **الحضارة بالثقافة والمدنية** تتمثل في كون أن " **الحضارة** "_أيا كانت _ **تتضمن** "**المدنية**" التي تعنى بالجوانب المادية: الاقتصادية والتطبيقية والعمرانية والتنظيمية، و" **الثقافية**" التي تعنى بالجوانب المعرفية والأخلاقية والروحية والجمالية.

_ **تسميتها بالحضارة العربية الإسلامية:** وصفها بكونها عربية، فيعود إلى ارتباط هذه الحضارة باللغة العربية، كمكون أساسي لها،و يدل على ذلك أن كثير من المسلمين غير العرب كانت لهم إسهاماتهم الكبيرة في بنا صرح هذه الحضارة. أو لأنّ العرب حملوا لوائها و أثروا فيها وفي نشأتها تأثيرا واضحا وكبيرا.

و أما تحديد وصفها **بالإسلامية**، فيعود إلى أن الإسلام، هو الأساس والأصل في وجود هذه الحضارة و نشوئها وتطورها و ديمومتها وبقائها . فالإسلام هو الذي نفخ في هذه الحضارة من روحه، وصهرها في بوتقته، وقدم للبشرية جمعاء أحسن النظم و أسمى القيم و أرقى الأخلاق التي تعلو بالنفوس البشرية إلى أعلى المراتب الإنسانية الحقة.

ثالثا/ معالم الحضارة الإسلامية:

تعريف لفظة "معالم":

معالم جمع. ومفردها مَعلم.

والمَعلم هو العلامة التي يهتدي بها الإنسان سواء كانت هذه العلامة معنوية أو حسية.

و للحضارة الإسلامية معالم و علامات تدل على وجودها في التاريخ البشري و عمق التأثير الذي أحدثته في تطور ورقي الجنس البشري، و من هذه المعالم :

1_ حضارة الدول الإسلامية:

وهي الحضارة التي قدمتها دولة من الدول الإسلامية لرفع شأن الإنسان وخدمته، وعند الحديث عن حضارة الدول ينبغي أن نتحدث عن تاريخ الدولة التي قدمت هذه الحضارة، وعن ميادين حضارتها، مثل:الزراعة،والصناعة،والتعليم،وعلاقة هذه الدولة الإسلامية بغيرها من الدول، وما قدمته من إنجازات في هذا الميدان.

2_ الحضارة الإسلامية الأصيلة:

وهي الحضارة التي جاء بها الإسلام لخدمة البشرية كلها،وتشمل تعاليم الإسلام في مجال: العقيدة،والسياسة،والاقتصاد، والقضاء، والتربية،وغير ذلك من أمور الحياة التي تفيد الإنسان و تيسر أمور حياته.

3_ الحضارة المقتبسة:

وتسمى حضارة البعث والإحياء، وهذه الحضارة كانت خدمة من المسلمين للبشرية كلها، فقد كانت هناك حضارات وعلوم ماتت،فأحياها المسلمون و طوروها، وصبغوها بالجانب الأخلاقي الذي استمدوه من الإسلام. فكانت الحضارة الإسلامية بالنسبة للحضارات التي سبقتها حضارة مقتبسة و مجددة في نفس الوقت. فهذا الاقتباس والتجديد والابتكار هو دلالة قاطعة على عبقرية الحضارة الإسلامية و فضلها على الحضارات الأخرى و على البشرية عموما .

و ممّا لاشك فيه، فإنّ الحضارة الإسلامية كان لها **روافد** ساهمت في تطورها ونموها، ومن تلك **الروافد** ما اقتبسته من الحضارات القديمة من علوم ومعارف، وما ظهر عليها من تأثيرات خارجية يمكن تلخيصها فيما يلي:

_ **التأثير الفارسي:** كان التأثير الفارسي في الحضارة الإسلامية أقوى في مجال الأدب ، حيث كان الأدب الفارسي الشرقي أقرب إلى ذوق العرب وأحاسيسهم من الأدب اليوناني، وأيضا في مجال العلوم كالهندسة والفلك والجغرافيا، لكن تأثير اليونان في العلوم العقلية كان أقوى من تأثير الفرس.

_ **التأثير اليوناني :** كانت الحضارة اليونانية ذات تأثير بارز و قوي في العلوم العقلية ،فنقل المسلمون عنهم في مجال الفلسفة عن أفلاطون و أرسطو وفي مجال الطب عن جالينوس وأبقراط، وقد أخذ المسلمون من التراث اليوناني ما يتوافق مع الإسلام ونبذوا ما يتعارض معه.

_ **التأثير الهندي:** ومن العلوم التي أخذ فيها المسلمون عن الهنود: الرياضيات والفلك والطب.

وقد اتسمت الحضارة الإسلامية بسعة الأفق واستيعاب الحضارات المختلفة و تطويرها بما يفيد البشرية كافة .و إذا كان المسلمون أخذوا عن الحضارات السابقة بعض العلوم فإنّ هذا لا يقلل من شأنها، لأنّ الترجمة كانت مرحلة من مراحل الابتكار العلمي الإسلامي وهذه المراحل هي:

- **النقل والترجمة**
- **الشرح والتفسير**
- **النقد والتصحيح**
- **الإضافة والابتكار**

رابعا/**خصائص الحضارة الإسلامية:**

الملاحظ أنّ لكل أمة من الأمم حضارة خصائصٌ خاصة بها، لأنّ حضارة أيّ أمة إنّما هي صادرة عن أفكار عقيدتها أو فلسفتها التي تؤمن بها والتي تمثل وجهة نظرها عن الحياة،و هذا هو سر اختلاف الحضارات وتمايزها . ومن هنا تميزت الحضارة العربية الإسلامية عن الحضارات الأخرى سواء القديمة منها أو الحديثة بما يلي:

1_ **الوحدانية المطلقة:** جاء الإسلام بعقيدة التوحيد التي تفرد الله تعالى بالعبادة والطاعة،فليس هناك إله غير الله تعالى و أنّه وحده الخالق،وهو مالك كل شيء،لاينازعه ولا يشاركه أحد،وهو وحده الذي يتوجه إليه بالعبادة ويلجأ إليه في الشدائد . وقد حرص الإسلام على تثبيت تلك العقيدة و ترسيخها،فأنهى كل الجدل الدائر حول وحدانية الله تعالى، و رد على أباطيل اليهود والنصارى، و أقام القرآن الكريم الأدلة والبراهين بالدليل القاطع و المنطق الواضح على كل من جعل مع الله إلهًا آخر .

وعليه،فإن من نتائج توحيد الله تعالى الحضارية أنّ الحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة التي تحررت من مفاهيم الشرك و الوثنية وعبادة الطواغيت و الأصنام،و صححت العلاقة بين الناس،و أزالت القدسية عن أيّ بشر،و وقفت ضد كل من يدعي الألوهية و الربوبية والقدسية من هؤلاء البشر. كما أنّه نتيجة لخاصية التوحيد هذه في ميدان الفكري والأدبي والفني، هي خلو آداب وفنون وفكر الحضارة الإسلامية من مفاهيم الشرك والوثنية، التي تعرقل الانطلاق الحضاري الخلاق، وهذا هو السبب في رفض المسلمين ترجمة آداب اليونان وأساطيرهم وخرافاتهم لقيامها على الوثنية والآلهة،و خلو فنونها من النحت و صناعة التماثيل التي تعد من أبرز مظاهر الوثنية القديمة والحديثة.ومن النتائج الحضارية لعقيدة التوحيد أنّها طبعت الحضارة الإسلامية بطابع الوحدة في اللغة والتشريع و القيادة ونظرتها للإنسان ، و طهرتها من الخرافات الخاطئة في تفسير الكون والطبيعة و ظواهرهما .

فعقيدة التوحيد المطلقة أكسب الحضارة الإسلامية القدرة على الصمود في وجه التحديات،فبقيت ثابتة راسخة.

2_ شمولية الإسلام و عالميته: الإسلام دين تميز بالشمولية الظاهرة بوضوح في عطاء الحضارة الإسلامية، فالدين الإسلامي يشمل كل النواحي الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الفكرية،كما يلبي كل متطلبات الإنسان الروحية والعقلية والبدنية،فالحضارة الإسلامية إنسانية الاتجاه، فهي حضارة لا تعرف حدودا زمانية أو مكانية أو عرقية،أي أنّها حضارة للإنسان أيا كان أصله وأينما كان موطنه.فهي حضارة ساوت بين الناس في أصلهم وراعت العدل بينهم،وشملت بالرعاية كل من أقام في دار الإسلام مسلما وغير مسلم.و يتجلى الاتجاه الإنساني لهذه الحضارة بأنّ كان عطاءها للإنسان في شمولها وعالميتها،فقد أفاد من هذه الحضارة

المسلم وغير المسلم على السواء،و الحضارة الإسلامية باتجاهها الإنساني فهي حضارة الرحمة والعطف ونشر الفضيلة، و تتميز بكونها "ليست جامدة متحجرة،وترعى كل فكرة أو وسيلة تساعد على النهوض بالبشر،وتيسر لهم أمور حياتهم،مادامت تلك الوسيلة لا تخالف قواعد الإسلام و أسسه التي قام عليها،فهي حضارة ذات أسس ثابتة،مع مرونة توافق طبيعة كل عصر،من حيث تنفيذ هذه الأسس بما يحقق النفع للناس" و السعادة الشاملة للبشرية.

3_ الحث على العلم: حث القرآن الكريم والسنة النبوية على طلب العلم،و ظهر من خلال تاريخ الحضارة الإسلامية كيف تم تكريم العلماء و إقبال المسلمين على طلب العلم و القراءة والكتابة،و العناية بإنشاء المكتبات المتنوعة،وقد بيّن القرآن الكريم في كثير من آياته و رسول الله صلى الله عليه وسلم في عديد من أحاديثه الشريفة فضل منزلة العلم وفضل العلماء، وفي الإسلام هناك أشياء من العلم تعلمها فرض على كل مسلم ومسلمة،لايجوز له أن يجهلها،وهي الأمور الأساسية في الشريعة الإسلامية،كتعلم الوضوء و الطهارة و الصلاة،التي تجعل المسلم يعبد الله عبادة صحيحة،وهناك أشياء أخرى يكون تعلمها فرضا على جماعة من الأمة دون غيرهم،مثل بعض العلوم التجريبية كالكيمياء و الفيزياء و غيرهما،ومثل بعض علوم الدين التي يتخصص فيها بعض الناس بالدراسة كأصول الفقه،ومصطلح الحديث و نحوهما.

4_ الأخلاقية في المبادئ والأهداف: تسعى الحضارة الإسلامية إلى تكوين مجتمع تسوده القيم الخلقية والمثل العليا،ومن هنا فإن الحضارة الإسلامية تؤكد على سيادة القيم الخلقية في حياة الفرد والمجتمع.ممّا جعل هذه الحضارة تمتاز بالأخلاقية في المبادئ والأهداف عن غيرها من الحضارات،بحيث أن القيم الأخلاقية تدخل في الحكم و العلم والتشريع والحرب والسلم والاقتصاد و الأسرة تشريعا وتطبيقا حتى بلغت منزلة كبيرة في الحضارة الإسلامية لم تبلغها أي حضارة أخرى قديما وحديثا، فالحضارة الإسلامية هي **حضارة الأخلاق** قبل كل شيء .فقد أكدت على سيادة الأخلاق الفاضلة في المجتمع و منعت كل ما يؤدي إلى الفساد والانحلال،وأكدت على التحلي بالفضيلة و مجانبة الرذيلة في السلوك والتصرفات،وجعلتها أحكامًا تشريعية في صيغة أوامر ونواه يجب التقيد بها،ودعت إلى الأخلاقية متميزة في الوسائل والغايات،فلا يجوز الوصول إلى الغاية الشريفة بالوسيلة الخبيثة أو المحرمة،وأكدت على أن القيم الأخلاقية ثابتة و أنّ التمسك بها واجب على الفرد والمجتمع والدولة،و من هنا كانت رسالة الإسلام قد قدمت حضارة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

5_ التوزان والوسطية و الإيجابية: فيما يتعلق بخاصية التوازن ففي الحضارة الإسلامية المتوازنة،لا يوجد جانب يهدم جانبا

آخر،أو يطغى ويهيمن عليه.وفيما يخص الإنسان ،نجد أنّ الحضارة الإسلامية ،لم تهتم بالجانب الروحي على الجانب المادي أو العكس،بل وازنت وجمعت بينهما .و أما خاصية الوسطية،فتعني استقامة المنهج،والبعد عن الانحراف،كما تعني العدل والاعتدال،بلا ميل ولا غلو شديد،ولا تقصير كبير،وهي كذلك دليل القوة،لأن الوسط هو مركز القوة،ومركز الوحدة، ونقطة التلاقي ، و دليل الخيرية.ووسطية الحضارة الإسلامية مستمدة من وسطية الإسلام كمنهج و كنظام حياة،ومن وسطية العقيدة الإسلامية.

و من المميزات الهامة للحضارة الإسلامية،خاصية الإيجابية، الفاعلة المؤثرة،ففي طبيعة الحضارة الإسلامية ما يدفع ويحفز الإنسان للقيام بالحركة الإيجابية، وذلك لتحقيق منهج الله في صورة عملية المتمثلة في الإستخلاف والعمران،فهذا الإنسان هو قوة إيجابية فاعلة في الكون الكبير الفسيح،وليس عنصرا سلبيا وتافها في نظامه،و الحضارة الإسلامية بهذا المفهوم،تكون منبعا لكل خير وصلاح،وتنشأ عنها آثار طيبة تزرع في النفوس حب الخير والتعاون، وتخرجهم من الكسل والسلبية والركود،كما تشعرهم بأهميتهم وقيمتهم في الحياة،كما تشعرهم بمسؤوليتهم الكاملة أمام خالقهم.

5_ التسامح الديني: وهذه الميزة لا نجدها في أي حضارة من الحضارات الأخرى،فالمجتمع الإسلامي لم يخل قط من غير المسلمين في أي عصر من العصور،والمسلمون لم يكرهوا أحدًا من غير المسلمين على الإسلام،ولم يمنعوا غير المسلمين من العيش معهم على الرغم من مخالفتهم في الدين.وقد ظهر هذا التسامح الرديني جليّا في تلك الشعوب الكثيرة التي عاشت داخل الدولة الإسلامية وحضارتها بأديان مختلفة أطلق عليهم " أهل الذمة"، أي لهم ذمة الله و ذمة الرسول،و أن يعيشوا في حماية المسلمين بتأمين دمائهم و أموالهم و كنائسهم مقابل جزية يؤدونها،كما أن الكثير منهم التحق بمناصب الدولة باستثناء بعضها كالخلافة والقضاء والوزارة و الحسبة،و وهذا التسامح الإسلامي قد دفع الكثير من غير المسلمين الدخول في الإسلام بعد أن لمسوا أخلاق الإسلام وعدله و سماحته وعقيدته الصحيحة السليمة.